دانيللا كرين

حالات حب حرجة

رواية

باولا

اليوم الذي أدركت فيه باولا أنها سعيدة كان يوم أحد من شهر مارس.

السماء تمطر. لقد بدأ هطول المطر بالفعل في الليل، ثم لم يتوقف من ساعتها. وعندما استيقظت باولا قرب الثامنة والنصف كانت قطرات الماء تتساقط على النافذة المائلة لغرفة النوم. تقلبت على جانبها وسحبت الغطاء حتى ذقنها. لم تستيقظ في الليل ولو لمرة واحدة. كذلك لم تستطع أن تتذكر إن كانت قد رأت أحلاما في نومها.

فمها جاف، وذكَّرها ضغط خفيف في رأسها بما حدث في الأمسية السابقة. طهى فينتسل طعامًا، وفتح كذلك زجاجة من النبيذ الأحمر الفرنسي. جلسا في وقت لاحق جنبًا إلى جنب على الأريكة، واستمعا إلى الموسيقى: أغنية الأرض لمالر، وسوناتا البيانو الأخيرة لبيتهوفن، وأغاني لشوبارت وبرامز ومينديلسزون. بحثا على اليوتيوب عن عازفين متنوعين لهذه الأعمال، و قارنوا أداء بعضهم ببعض، وكانا يفرحان كالأطفال إذا توافقت آراؤهم.

كان يمكن لباولا أن تبقى عنده، وأن تقضي الليل معه، لكنها ادعت أنها نسيت دواءها في المنزل، مع أن الهيدروكورتيزون كان في حقيبتها، أما ما كان ينقصها ففرشاة الأسنان وغسول الوجه. وما كان فينتسل ليعد ذلك أمرا ذا بال ولأقنعها بالبقاء.

وحوالي الساعة الثانية صباحًا، استقلت سيارة أجرة. بينما وقف فينتسل أمام المنزل إلى أن انعطفت السيارة عند ناصية الشارع.

مدت يدها إلى زجاجة الماء التي بجوار السرير وشربت، ثم فتحت الهاتف، وقرأت رسالته: *صباح الخير يا حبيبتي، أنت دائمًا أول ما أفكر فيه*. كل صباح وكل مساء تحية. وذلك منذ عشرة أشهر كاملة، ودونما استثناء.

ليني أيضا تحب فينتسل، وفينتسل يحبها.

وفي لقائهما الأول أثار إعجابها بقدرته على رسم وجهها بسرعة البرق. وكان التشابه بين وجهها وما رسمه فينتسل مذهلا، ولقد أرادت ليني المزيد كي تستطيع التباهي بهذه الرسومات في المدرسة.

تنظر باولا إلى الساعة. لا يزال أمامها تسع ساعات قبل أن تعود ليني التي ستلقي بأشيائها، وستغمغم قائلة *مرحبا*، ثم ستنسحب إلى غرفتها، أو أنها ستقدم تقريراً مفصلا وبدون توقف عن عطلة نهاية الأسبوع، بما يشمله ذلك من عرض لصور أخوتها غير الأشقاء، وستنخرط في حديث حماسي عن ما تتقنه فيليبا من فنون الطهي.

وبينما كانت باولا تجيب على رسالة فينتسل الصباحية، شعرت بالاشتياق إليه.

ففي الصباح الباكر تكون رغبتها فيه أكبر ما تكون. وحينما بدأت تعد القهوة في المطبخ، كتبت له رسالة واضحة.

منذ أن وجد فينتسل في حياتها، صارت تفتقد ليني في عطلة نهاية الأسبوع بصورة أقل. وماذا يمكنها أن تفعل حقا؟ لم تعد ليني طفلة صغيرة. في الصباح تتدرب أمام المرآة على الابتسام بطرق مختلفة، وتقوم بقص بناطيلها محدثة ثقوبا، وترتدي القمصان التي تبدو كأنها تنزلق عن كتفها بدون قصد، وتستعمل ملمع الشفاه وترسل رسائل غامضه على غرفة الدردشة الخاصة بالصف السابع ب، والتي تتكون عادة من الرموز التعبيرية والاختصارات. وتتحدث أحيانا بدون توقف، لا لشيء إلا لتهوي بعد ذلك بفترة قصيرة في صمت عدواني. وهي تستطيع التعامل مع الكوابيس الليلية بمفردها، ولم تعد باولا ترى ابنتها عارية منذ فترة طويلة. ولا حتى عندما سألتها ليني ذات صباح عما اذا كان من الممكن الحصول عل ثديين مترهلين في سن الثالثة عشر. وأنها قد نظرت إلى صدرها فوجدت أن نهديها سيتخذان *ذلك* الشكل ورسمت بيدها اليمنى في الهواء شكل مضحك ومبالغ فيه. بينما أبقت ذراعها الأيسر مضموما على الجزء العلوي من جسدها. وقبل أن تتمكن باولا من الرد بأي كلمة، اتهمتها ليني بأنها قد أورثتها أسوأ ما فيها، النمش والبشرة الفاتحة، والشعر الأحمر، والركبتين البارزتين، وقصر النظر، وضعف التحصيل في مادتي الفيزياء والكيمياء.

الوراثة مصادفة وليست قرارًا، هكذا ردت باولا وأرادت أن تمسد شعر ابنتها. لكن ليني ابتعدت عنها، وجرت خارجة، وصفقت الباب بقوة. ثم سرعان ما عادت وألقت بنفسها في أحضان باولا كما لو كانت تتزود للمرحلة التالية من البعد.

لازالت السماء تمطر. تعصر باولا البرتقال وتحضر رغوة الحليب لتتناولها مع القهوة. بينما على الطاولة باقة من زهور التوليب.

قبل عام واحد فقط كان يمكن لساعات اليوم الطويل الذي ينتظرها كفيلا باثارة الذعر في نفسها. كانت لتبدأ في التنظيف أو غسل الملابس أو الركض أو الذهاب إلى السينما، أو كانت لتتصل بيوديت لتسافر معها إلى حصانها. لم يكن مهما *ما* تفعل، ما كان يهم هو *أن* تفعل شيئا ما. وإلا لحلّت الشياطين وسيّرتها كيفما تشاء.

*** * ***

بعد الانفصال عن لودجر، كانت تتساءل في كثير من الأحيان متى بدأت النهاية. ومتى خرجت الأمور عن السيطرة؟

مثلت وفاة يوهانا كسرا حاسما في جدار العلاقة. لكن بمرور الوقت صارت ترجع تاريخ بدء الفشل إلى أحداث أخرى وقعت قبل ذلك، كانت مرة بعد مرة ترجع بداية الفشل إلى مرحلة أبعد بكثير، بكثير جدا، حتى *لم تعد هناك نقطة أبعد* في علاقتهما يمكن الرجوع اليها.

لقد بدأ كل شيء في أحد الاحتفالات.

مرت باولا ويوديت مصادفة عندما كان متجر للأغذية العضوية يفتتح في الضاحية الجنوبية للمدينة. كانتا لدى البحيرة، ورقدتا عاريتين في الشمس، وكل منهما تدهن بشرة صاحبتها بالكريم. وأكلتا الآيس كريم وقد جذبتا الأنظار اليهما. وبعد أن شعرتا بالرضا عن نفسيهما وتأثيرهما على الآخرين، مرتا بدراجتيهما بحديقة الغابة، مخترقتين الغابة الشطئية[1] في طريق العودة إلى المدينة، حيث كانت لا تزال حرارة لزجة مسيطرة على الأجواء.

ومن بعيد رأتا البالونات وأحواض الزرع المليئة بالزهور والكثير من الناس أمام المتجر. كانتا تتوقان الى مشروب بارد، ولذلك توقفتا.

لم يكن لودجر بعيدا عن الباب عندما دخلتا المتجر. رأته باولا على الفور. وفي وقت لاحق قال إنه أيضًا رآها من زاوية عينه وأن نظراته كانت تتبعها. كانت باولا ترتدي فستانًا في لون الطحالب الخضراء بلا حمالات وقبعةً للشمس، وقد انسدل من تحتها شعرها الأحمر المتموج.

[1]الغابة الشطئية هي الغابة المتاخمة للأنهار أو البحيرات أو المستنقعات أو المصبات والقنوات والبرك والخزانات (المترجمة)

وفي الخارج قدحت الشمس، وعبقت الشوارع بالعوادم وعبير زهور الزيزفون، وصارت كل هبة من هبات النسيم تحمل هذا المزيج الخانق -الحلو إلى داخل المتجر. كان لودجر يرتدي قميصا من الكتان. شعره أشقر وعيناه زرقاوان. لم يكن من النوع المقتحم.

وبعد فترة وجيزة غادرا الاحتفال. كانا يسحبان دراجاتيهما وقد سارا جنبا إلى جنب يتجاذبان أطراف الحديث.

نظر لودجر إليها المرة بعد الأخرى، لكنه لم يقو على تثبيت عينيه في عينيها حينما تنظر إليه. وكان إذا أطال حديثه توقف عن السير.

وكان مثل باولا يبحث عن الطرق الظليلة.

وعلى ضفة النهر لمس ذراعها عَرَضًا.

وعلى مقعد بالحديقة قبلته تحت ضوء المساء .

*

وخلال الأسابيع الأولى كانا يلتقيان كل يوم.

بدأت اللقاءات عند شجرة البلوط في حديقة كلارا. كانت باولا تجيئ دائمًا في وقت مبكر جدًا فتراه ينعطف بدراجته الرياضية على الطريق وتلوح له من بعيد. تبدأ كل مقابلة بشعور من الحرج البسيط، غير أنه يختفى بعد القبلة الأولى.

وانطلاقا من الشجرة يشرعان في التنزه عبر الحدائق والأحياء المجاورة. كانت باولا تحب الطريقة التي يحني بها رأسه ويشرق وجهه عندما ينظر إليها. ويعجبها صوته العميق وأسلوبه الهادئ في الحديث. وأصابتها رغبته الدائمة في الحركة بالعدوى، وتأثرت بقوة بعلمه في البناء البيئي وحياة الاكتفاء الذاتي والحيوانات والنباتات.

وكثيرا ما جاء لودجر لزيارتها في متجر الكتب.

في بعض الأحيان، ترى رأسه يظهر أولاً وهو يصعد السلم إلى قسم الأدب. وأحيانا أخرى يفاجئها أثناء فرزها للكتب أو تسليم الطلبيات. كان يلمس يدها أو ذراعها

بتحفظ. فتلتفت إليه وهي تشعر بسعادة خفية أن زملائها سيلاحظون كيف كان وسيمًا.

كانا يقضيان لياليهما المشتركة في شقته. لم ينم في شقتها التي كانت تقتسمها مع يوديت إلا مرة واحدة. جلس ثلاثتهم لتناول البيتزا واحتساء النبيذ الأحمر. ولقد حول لودجر كل موضوعات الكلام للحديث عن تخصصه في البصمة البيئية التي يخلفها الإنسان، وكيفية الابقاء عليها صغيرة بقدر الإمكان. وكان يقاطع يوديت مرارا وتكرارا إما للتعمق في الحديث في موضوع ما، أو تصحيح مقولة غير دقيقة.

كانت باولا قد شاهدت اهتزاز قدم صديقتها، وتوتر العضلات حول فمها، وأدركت ما سيحدث.

في اليوم التالي، جاءت يوديت إلى غرفتها وبيدها كومة من الكتب الطبية المتخصصة، وأوضحت لباولا أنها مُقْدِمَة على الامتحانات النهائية، وتحتاج إلى هدوء في الشقة، وأنه سيكون من الأفضل أن لا يأتي لودجر لزيارتها في الوقت الحالي.

*

في الليل كانا يرقدان متلاصقين.

وكانت أيديهما أو أقدامهما دائما ما تتلامس. تمسح باولا على ظهره، وهى تعد أثناء ذلك عدد دقات أجراس الكنيسة، وعندما كان الوقت لا يزال طويلا حتى بزوغ الصباح كانت تضع يدها بين ساقيه.

لم تكن تهتم بالطريقة التي ينامان بها معًا، وأن لودجر كان يشير إلى كل ما يفعلونه بكلمة *هذا*. هل تحبين *هذا*؟ هل تريدين *هذا*؟ لم تتفاجأ عندما ابتعد بجسده عنها وهي تستكشف لأول مرة بلسانها تلك الأجزاء من جسده التي لا يمكن تسميتها. وأخيرا سمح لها بذلك. وقد استلقى ساكنا تماما وعقد ذراعيه فوق وجهه.

أصبحا بعد ذلك أكثر انفتاحا.

حكى لها لودجر عن وفاة والديه. ولقد تخشب صوته عندما كان يروي كيف أن شاحنة سحقتهما في نهاية زحام مرورى، لقد كان والداه في طريقهما إليه. وكان قبل بضعة أيام قد حصل على شهادته في الهندسة المعمارية.

قَبَّلت باولا كتفيه وعنقه، أما هو فقد وضع رأسه على صدرها.

*

وبعد بضعة أشهر من تعارفهما، طلب منها لودجر أن تمر عليه في المكتب. بدا متحمسا، ولكنه لم يرد الافصاح عن السبب. وحينما ظهرت باولا في مكتب *برينكمان & كرون*، تحول الإخوة برينكمان بمقعديهما في نفس اللحظة ناحيتها، وابتسما ابتسامة عريضة. خفض لودجر رأسه، وأخذ بيد باولا وسحبها إلى غرفة الاجتماعات.

على الطاولة كانت خطه شقة. وكانت عبارة عن شقة بالدور العلوي يبلغ ارتفاع سقفها أمتار أما مساحتها فتصل إلى 300 متر مربع. أخذ يشرح لها دون أن يلتقط أنفاسه مواضع المنصات التي ستشكل فضاء الشقة، وموقع الدرج الذي سيوصل إلى الصالة المفتوحة، وأوضح لها كيف أن العيش دون غرف منفصلة، بل وحتى دون حوائط فاصلة أمر فعال. وأعلن أخيرا مدفوعا بحماسه وبصورة بدت وكأنها غير مقصودة: *هناك سنعيش*.

لم تقل باولا شيئا، استغرق منها الأمر بضع لحظات لتفهم المقصود.

وخطر لها عدد المرات التي ذكر فيها أن الكنيسة التي تقع قبالة شقته تصيبه بالكآبة. لم يكن لودجر يريد ما يذكره يوميا بما بناه *البشر المسيحيون* -كما كان يسميهم- من بنايات تثير الخشية لتقديس إلههم.

ماذا ترين؟ **سألها لودجر. *هل أنت فرحة؟***

في اليوم التالي ذهبا بالدراجات لمشاهدة الشقة. التقيا عند شجرة البلوط في الحديقة. كانا يرتديان القبعات، والشالات والقفازات وهما يقودان دراجاتيهما في واحد من تلك الأحياء التي نادرا ما تتوه فيها باولا، والذي تنبأ لودجر بتطوره في المستقبل. تقع الشقة العلوية في شارع محاط بالأشجار، ومرصوف بالحجارة، ويطل علي القناة، وكانت كبيرة كصالة محطة القطار. وفي الجوار لم يكن ثمة كنائس، بل وأيضا لم يكن ثمة كثير من المباني الأخرى. وقفت الجدران أمامها عارية من الطلاء، وبالداخل كان الجو باردا، وكان أول ما خطر لها ضرورة الهروب من هذا المكان في أسرع وقت ممكن.

وضع لودجر رسومات الشقة على الأرض. قاس مساحة الصالة، فحص البناء والنوافذ وبدأ في الوصف. وبالفعل بدأت باولا تتخيل المطبخ وهو يقف علي منصة خشبيه، وفعلا شعرت بألواح الطرقة أسفل قدميها، ثم صعدت الدرج إلى منطقة النوم، واتكأت على درابزين الصالة، وألقت نظرة على المساحة بأكملها.

*****

لم يكن وداع يوديت بالأمر الهين بالنسبة لباولا.

لقد عاشا معًا لمدة خمس سنوات جميلة. لا أحد آخر كان قريبا الي باولا بنفس الدرجة. عندما كانتا رضعتين كانت لهما عربتا أطفال شبه متطابقتين تدفعهما أمهاتهما جنبًا إلى جنب، وارتادتا نفس الحضانة ونفس روضة الأطفال ونفس المدرسة. وعمدتا معا في نفس الحفلة المشتركة، وبلغتا في الشهر نفسه من العام نفسه، وغادر كلاهما ناومبورج في سن الثامنة عشرة. فذهبت يوديت إلى لايبزيج لدراسة الطب، بينما ذهبت باولا لتتدرب على تجارة الكتب في ريجنسبورج.

أثناء الانتقال من مسكنهما وقفت يوديت دون أن تشارك في أي شئ. واستمعت بصمت إلى كل ما قيل في مديح الشقة الجديدة، وقبل نقل الصندوق الأخير من سيارة النقل، ودعت باولا.

*****

في الأشهر القليلة الأولى من حياتهم المشتركة، كان لدى لودجر موضوع واحد فقط - وهو مشروع ترميم في وسط المدينة. كان منزلا من القرن السابع عشر. وعلى الرغم من تجديده كان يصاب مرارًا وتكرارًا بالرطوبة والعفن. وكان المهندسون المعماريون المكلفون أساسا بترميمه قد سحب منهم العطاء. فحساب التكلفة الجديد الذي قدموه كان أعلى كثيرا من الحد الأعلى المقدّر أصلاً، واستغل لودجر هذه الفرصة وكتب عرضًا بأسعار لا يمكن لأحد أن يقل عنها. لقد كان مناسبا إلى درجة أنه أثار عدم الثقة ، وبدا الحل جيدًا لدرجة يصعب معها تحقيقه.

لقد نجح مخترع الطريقة، وهو المرمم هننج جروسيشميت في *تنظيم درجة الحرارة* بنجاح باستخدام مبدأ توزيع الحرارة في العديد من القلاع والمتاحف. كان لودجر أحد تلاميذه. وحضر عددا من المحاضرات التي ألقاها جروسيشميت.

فبدلاً من المشعات العادية، تم لصق أنابيب التدفئة في الجدران الخارجية تحت الطلاء، أنهت الحرارة الموزعة بالتساوي على جميع المستويات مشكلة الرطوبة والعفن. وتحسنت درجة الحرارة في الداخل، وزادت جودة الهواء، وانخفض استهلاك الطاقة والصيانة.

كان لودجر أثناء العشاء يبسط الخطط ويشرح لباولا عمق الأنابيب تحت الطلاء، وما هي المواد التي تتكون منها، وفي أي مبان تم بالفعل استخدام الطريقة بنجاح. كانت كلمة *تنظيم الحرارة* تخرج من فمه بنغمة توحي بنوع من الخشوع، ولم يحدث ولو لمرة واحدة أن تسبب التخطيط لحفل الزفاف القادم في نفس الدرجة من الإثارة.

رفض لودجر الزواج الكنسي، وامتثلت باولا. شعرت بأن إحداث انسجام في المواقف من خلال موافقتها هو التصرف الصحيح.

كان معظم ضيوف حفل الزفاف من معارفها. أما لودجر فقام بدعوة الإخوة برينكمان وزوجاتهم والفريق الذي كان موجودا أثناء الانتقال من المسكن. لم يأت أحد من أقاربه. كانت اتصالاته تقتصر على الزملاء والعملاء والعمال.

أخذت باولا على عاتقها اختيار الأطعمة، بالإضافة إلى اختيار المشروبات وتصميم الدعوات وتزيين الشقة. وأراد لودجر أن يشارك بالرأي لكن فقط في اختيار الموسيقى.

جلسا معا لمدة نصف ليلة. بحث لودجر عن أفضل تسجيلات موسيقى الجاز، كان يدخن أثناء ذلك وأحيانًا يدندن بصوت خفيض، وعندما بدأت باولا في الرقص تلقائيًا بعد كأسها الثاني من النبيذ، تطلع إليها. وفعل ذلك وقد بدت عليه أمارات الحرج المعهودة فيه والتي أصبحت باولا تعرفها.

برأس منحن وكتفين مرفوعتين، وزجاجة بيرة قريبة من فمه، جلس ونظر وعيناه تبعتها.

عندما سقطت باولا على حجره، وضع البيرة جانباً، ووضع ذراعيه حول خصرها، وقبلها. وعقب ذلك مباشرة دفعها بعيدًا عنه ووقف. تخشب جسده، وجال بنظره فيما حوله وأعلن بحماس أن تنظيم درجة الحرارة هو أفضل حل في هذه الشقة أيضًا.

لم يكن ثمة إنسان على النحو المبتغى.

كانت باولا تأمل أن يسد الزمن الفجوة بين التمني والواقع.

*** * ***

كانت لا تزال ترتدي قميص النوم عندما خرجت إلى الشرفة بعد الإفطار وتطلعت إلى الحديقة. إنها الشقة الخامسة التي تسكنها باولا في هذه المدينة. أخيرا تشعر بالراحة.

تفتحت زهور الزعفران وزهور اللبن في الحديقة المشتركة التي تفصلها جدران حجرية عالية عن الحديقة المجاورة. تحت باولا وليني تعيش أسرة لديها طفلان أصغر سنا، في الطابق الأرضي العلوي يسكن زوجان مسنان. في معظم الأحيان يعيش الجميع بسلام بجوار بعضهم البعض. وحدها الحديقة تؤدي في بعض الأحيان إلى خلافات. تصطدم رغبة الزوجين المسنين في النظام مع الزراعة العشوائية والتي نادراً ما تنجح للعائلة المقيمة في الطابق الأوسط. ولكن الجميع بشكل عام يحترمون بعضهم البعض، وتقام حفلة صيفية مرة واحدة في السنة.

مشت باولا ببطء بين طرفي الشرفة التي تمتد عبر ثلاث غرف، لكل منها مدخل متصل بها. أخذ المطر ببطء يتوقف عن الهطول، ولم يصل رد من فينتسل بعد. ربما يكون في الاتيليه ويعمل، وربما لم يقرأ رسالتها بعد، وربما يكون في الطريق إليها. الأمر الذي لا تشك فيه هو أنه سيأتي.

تمر بيديها على درابزين الشرفة الخشبي، واعية لحركة ذراعيها، ويديها ثم تنفسها وحقيقة أن عليها أن تبذل مجهودا لتشعر بجسدها. إنه يفرض نفسه بسبب الألم أو عدم القدرة على الحركة أو التعب المفرط. لقد توقفت من زمن طويل عن النظر الى الأمور البديهية باعتبارها بديهية.

أثناء الزواج من لودجر كانت نظرتها موجهة نحو مستقبل غير واضح، وبعد وفاة يوهانا أصبحت موجهة نحو ماضٍ بالغ الوضوح. في الوقت الحاضر تسمع جرس الباب وتهرول إلى الباب الشقة.

كان فينتسل يحمل زهورا مسروقة وجدها في طريقه عبر روزنتال، لاحقا سيوَزعون على مزهريات صغيرة في شقة باولا.

كان فينتسل قد حلق شعره الذي بدأ يخف. فينتسل هو أول رجل لا يحاول تشكيلها. أول رجل لا يهتم أحيانا إلا برغبتها . وأول رجل لا تقدمه لوالديها.

أخذت بيده وذهبت معه إلى غرفة النوم.

وبينما كان يخلع ملابسها ببطء، ويأمرها ان ترقد على بطنها، ويمسح بأطراف أصابعه بقوة على جسدها من العنق وحتى الفخذين وهو يباعد بينهما، شعرت لبرهة أنها قد تذكرت الأمر الذي تتكتمه داخلها. وبعدها حكت له عن الرجال. أخبرته إلى أي مدى ذهبت، وما هي الأشياء التي سمحت لهم بها فقط لتستشعر نوعا مختلفا من الألم. ألم يسيطر على الحزن الذي يعربد داخلها مثل شيطان مطلق السراح. وأثناء بكائها حكت له عما كان يشعرها بالخزي، وماذا كان يعجبها رغم أنها كانت تشعر بالخزي، وكيف كان الخضوع ينسيها وفاة طفلها لبضع ساعات. و عندما كانت تتوقف عن الكلام كان يقبلها، ويتبع شفتاه مسار أطراف أصابعه.

*** * ***

في صباح يوم الزفاف استيقظا على ضجيج. فأثناء الليل كانت هناك نافذة مفتوحة. ودخل طائر الى الشقة. وكان يرفرف بجناحيه في ذعر وهو يطير بين المصابيح والأثاث. واصطدم بزجاج نافذة وسقط على الأرض، ليبدأ محاولة أخرى ويفشل من جديد في شق طريقه الى خارج الشقة.

قفزت باولا من السرير. فتحت كل النوافذ. كان قلبها يدق يقوة. في كل مرة يصطدم فيها الطائر بشئ ما، كانت ترتعد. ساعدها لودجر. معا قاما بهشه في الغرفة الضخمة. لكن دون جدوى. لم يجد الطائر الطريق الى الخارج. كان الوقت لا يزال مبكرا. وبزغ نور الصباح بلون وردي. استراح الطائر على الأرض، وقررا الانتظار.

رجعا مرة أخرى الى السرير، اقترب لودجر منها. وضع ذراعه من حولها ودفن رأسه في شعرها. مسد بطنها بأطراف أصابعه. عندما مرت رعشة بجسدها توقف عن الحركة. وبعدها عاد بسرعة إلى النوم.

استمعت باولا إلى ضربات جناحي الطائر وصرخاته الصاخبة القصيرة بينما كانت أصابعها تتحرك بين ساقيها المفتوحتين. وبحذر خلصت نفسها من عناقه. رقدت على بطنها وضغطت وجهها في الوسادة.

في وقت لاحق تسبب رنين المنبه في إيقاظها. استيقظت وفحصت الغرفة على الفور. كان الطائر قد اختفى.

*

عادت باولا من شهر العسل الذي أمضياه في التجول في جبال الفوج وبداخلها شعور لطيف بالانهاك. من سانت أتلييه شقا طريقهما عبر كول دو كروتسفيج إلى كايزرسبرج ثم جنوبًا إلى المحمية الطبيعية، ومع تغير مستمر في الطقس، ووفقًا لتقديرات باولا فقد كان هناك مناطق صعود وهبوط تمثل خطورة على الحياة. وفي بعض الأحيان ولساعات كانا يسيران وراء بعضهما دون أن يتبادلا كلمة واحدة، لأن المسارات كانت ضيقة ولأن الحديث كان سيستهلك الكثير من الطاقة. ثم يعاودان المسير في مرات أخرى جنبًا إلى جنب وهما يرسمان خططا للمستقبل.

لم يقابلا أي إنسان آخر لمسافات طويلة. وكانا يقومان بنزهات إلى الصخور التي تدفئها حرارة الشمس وإلى أنقاض القلعة وتحصينات الحرب القديمة.

حالما يستقرا يقوم لودجر بإخراج الخرائط. كان يمتلك الكثير من الخرائط ذات المقاييس المختلفة، وكان يشرح دائمًا لباولا أين كانا بالضبط. وأثناء تناولهم الخبز والجبن والتفاح، شرح لها الطريق الذي سيسلكانه في الساعات القليلة المقبلة. لم يكن لحماسه في التعبير عن دقة الخرائط التي تظهر حتى أصغر المسارات يعرف أية حدود.

في نزل المزرعة، حيث مكثا طوال الليل، تشاركا غرف النوم مع المتنزهين الآخرين. وفقط في الليلة الأولى والأخيرة من الرحلة التي استغرقت عشرة أيام أخذا مبيتا في فندق له حمام خاص وسرير مزدوج مريح، وفقط في هاتين الليلتين ناما معا.

وكان من عادة لودجر عقب ذلك أن يكور جسده ويخفي رأسه في صدر باولا. هكذا كان يحب أن ينام. إذا ادارت باولا نفسها بحذر لأنها لا تستطيع النوم في هذه الوضعية، كان لودجر يتبعها بجسده. حتى أثناء نومه العميق وبمجرد أن يفقد جسديهما الاتصال كان يسعى للاقتراب منها. فكان على باولا أن تنهض من جانب السرير فقط لكي ترقد على الجانب الآخر. ومع ذلك كانت تحب هذا التاكيد الجسدي لحبه لها.

*

في يومها الأول في العمل بعد الرحلة استقبلت بولا من قبل زملائها باسمها الجديد - باولا كرون. وعندما صاحت بها ماريون، التي عملت معها في قسم الأدب، في نهاية ذلك اليوم: *باولا إن زوجك هنا*، اعتدلت وابتسمت..

كانت واحده من تلك اللحظات التي لن تسعى باولا لاحقا أن تجردها من قيمتها.

كان لودجر يقف وقد ارتدى بنطالا من الجينز وقميصا من الكتان أمام الطاولة التي عليها الإصدارات الجديدة، ويلوح لها. لم تستطع أن تقول لماذا جعلها ذلك تشعر بالفخر.

*****

ارتفع حجاب الهرمونات.

في أمسيات كثيرة، كانت باولا وحدها في الشقة. وعندما كانت تفتح النوافذ المطلة على القناة كانت الرائحة العنيفة للمياه القذرة تندفع إلى الداخل، أما حين تغلق النوافذ تصبح الشقة هادئة بشكل مخيف. كان رجع صوتها يتردد في جنبات الشقة الضخمة. لم يكن هناك غرف منفصلة، مجرد مكعب في الوسط حيث يقع الحمام. كل ليلة كانت تنتظر عودة لودجر إلى المنزل. كان مشروع تنظيم الحرارة يملك عليه وقته كما لم يحدث مع أي مشروع آخر. وغالبا ما كان يأتي متأخرا. وفي ساعات الانتظار كانت تقوم بالطهي أو القراءة أو الاتصال بالهاتف أو الوقوف بجانب النافذة ، ودون أن تنسى أبدًا أن ما تفعله كان مجرد وسيلة لاجتياز الوقت. كان التوتر ينتهي فقط مع سماعها صوت مفتاحه يدور في القفل، وتساءلت باولا عما إذا كان السبب حقا هو مجرد الشقة والفراغ الذي بداخلها.

مرارا وتكرارا كانت الطيور تضل طريقها الى الشقة. ولم يكن بمقدورها جميعا العثور على طريق للخروج. ففي أحد الأيام جلست حمامة بجناح مكسور بجوار مائدة الطعام على الأرض. ورقد عصفور ميت تحت النافذة التي جاء من خلالها.

ومنذ ذلك الحين ظلت النوافذ مغلقة.

*****

كانا يتناولان طعام الإفطار كل يوم أحد في مقهى تليجراف

كان لودجر يقرأ جريدة فرانكفورتر الجماينه تسايتونج وجريدة نويه تسوريشر تسايتونج، أما باولا فكانت تقرأ مجلة دير شبيجيل وجريدة دي تسايت.

ركبا دراجاتيهما على طول نهري مولدِه وزاله، وزارا معارض، وذهبا إلى السينما وتشاجرا حول اختيار الافلام. كان لودجر يفضل الأفلام الوثائقية وباولا قصص حياة الفنانين. انتقد لودجر حبها لهذا النوع من الأفلام مشيرا أن باولا لم تكن لتتحمل يومًا من حياة جورج تراكل أو أسبوعًا من حياة كاميل كلودل. واتهمته باولا بأنه يأخذ كل شيء على محمل الجد، دون أى حس للفكاهة، ودون أي بساطة، ورد عليها بأن هذه البساطة، وهذه الغفلة هما بالضبط ما يدمران العالم.

كانا يتعاركان حول أشياء لم يظنا أنه يمكن أن يدور حولها أي عراك. عندما كانا يسيران بدراجتيهما كان يقود أسرع منها. ولم يكن يلتفت وراءه ليطمئن عليها. كان ينطلق بدراجته دون الالتفات إلى إشارات المرور التي تحولت إلى اللون الأحمر، وينتقل إلى الجانب الآخر من الطريق، بينما باولا تنتظر الاشارة الخضراء التالية. كذلك كان هو الذي يقرر المسارات، فقد كان يعرف أفضل الطرق للانتقال من أيه نقطة بالمدينة الى أيه نقطة أخرى. وكان أى اعتراض من جانب باولا ينتهي بمجرد النظر إلى الخريطة التي يحملها معه دائمًا.

في بعض الأحيان كانت تتعمد التأخر عنه وتسلك الطريق الذي تحدده هي. كانت تعرف كم أن ذلك يغضبه، وكانت تعلم أن الصلح يحدث أحيانًا في الفراش.

عندما كان لودجر يغضب، لم يكن يكبح جماح قوته البدنية. كان يمارس الجنس بصورة أكثر تحررا من المعتاد. وكانت تلك الليالي هي التي تملأ باولا بالأمل. وفي الليالي الأخرى كانت ترقد مستيقظًة، مبتعدة عن عناقه وهي لا تعرف إلى أين تذهب برغباتها.

*****

الانتقال من الشقة كان أول القرارات التي استطاعت باولا إنفاذها.

لم يكن ذلك قرارا حكيما. فقد ارتفعت الإيجارات، وكان لودجر في أزمة.

وعلى الرغم من نجاح فكرة تنظيم درجات الحرارة، لم يكن هناك مزيد من المشروعات. وكان قد بدا له أن تحقيق هدفه بات قريب المنال. وأن شركة

برينكمان & كرون سرعان ما ستصبح أفضل شركة معمارية في مجال البناء البيئي. لكنه رفض مشروعات أخرى مربحة وتشاجر مع الإخوة برينكمان.

وفي ذلك التوقيت كان طول الطفل في أحشائها قد بلغ حوالي 8 سم، وبإمكانه أن يضع إبهامه في فمه، وأن يمسك الحبل السري بين أصابعه، كما كان يتحرك بحيوية.

كانت صورة الموجات فوق الصوتية على الطاولة بينهما. وكانت باولا تبكى. تحدثت وتوسلت *حوائط وغرف!* ردد لودجر وهو يهز رأسه بالرفض. فالسرير كبير بما يكفي لثلاثة أشخاص والرووف شقة نموذجية لطفل صغير. تتسع للألعاب بجميع أنواعها. ركوب الدراجات، القفز على المنطة، اللعب بالأرجوحة – ماذا تريد باولا أكثر من ذلك؟

عندما نهضت باولا من الطاولة، مسحت الدموع عن وجهها وأخذت صورة الموجات فوق الصوتية ووضعتها في حقيبتها.

وفي الأشهر التالية، طافت بدراجتها جميع أنحاء المدينة. واتصلت بسماسرة العقارات والمؤجرين من ملاك العقارات، وزارت العديد من الشقق استقرت على عدة اختيارات مبدئية، عرضتها على لودجر في المساء.

اتضح بعد ذلك أن الشقق كانت في مناطق لم يكن من الوارد بالنسبة للودجر السكنى بها، فهي إما في شوارع بلا أشجار، وبالتالي غير مقبولة؛ أو في حالة تحتاج إلى ترميم ولا يستطيع العيش فيها، أو بها جيران لا يستلطفهم لما سمعه عنهم. ورفض أن يعيش بجوار المحامين أو مستشاري الضرائب أو سماسرة العقارات. كان يكره سياراتهم الرياضية، التي كانوا ينظرون بتعال منها إلى الآخرين، كما أنهم لا يراعون أولوية السير ويوقفون سيارتهم في الصف الثاني. كان يفزعه ما يحيطون به أنفسهم من أشياء ترمز الى وضعهم الاجتماعي المميز، وطلباتهم بإزالة الأشجار لاقامة مواقف سيارات جديدة، وافتقارهم إلى الوعي بالحياة الحقيقية.

وفي أحد الأيام، كانا يقفان في شرفة شقة من أربع غرف شبه مجددة، تطل على الغابة الجنوبية النهرية، وقد وافق لودجر أخيرًا على استئجارها. لم تشعر باولا بالفرح. فقد أثارت رائحة الثوم البري الرطبة العفنة لدبها شعورا بالغثيان. استندت باولا إلى درابزين الشرفة وأغلقت عينيها.

كانت الشقة في مبنى خلفي. حيث لا ضجيج سيارات ولا قعقعة ترام، فقط تيجان الأشجار الخضراء وأصوات الطيور. كانت تبعد عشر دقائق بالدراجة عن وسط المدينة، وكان يمكن لكل منهما الوصول إلى مقر عمله بنفس السرعة. كان الدرج ممتلئًا بالدراجات، ولم تكن ترى أية سيارات من أي نافذة من نوافذها أيا ما كانت. كان أمرا مثاليا.

في يوم الانتقال إلى المسكن الجديد لم يكن بإمكان باولا سوى مراقبة العمال وتوجيه إرشادات لهم. فلم يعد متبقيا على موعد الولادة سوى أربعة أسابيع. كان ساقاها يؤلمانها، وحذاؤها يضغط على قدميها المتورمتين. وكانت تعاني من الحموضة وتشعر بتعب لا يوصف. كان أكثر ما ترغب فيه أن تأوي كالحلزونة إلى بيتها وتحتمي به.

في نهاية ذلك اليوم، ووسط فوضى الصناديق وحقائب السفر والأثاث، كان السرير فقط هو الشي الوحيد الذي بقي في مكانه. وعندما استلقت باولا أخيرًا عليه، أخذت تتذكر تلك الليالي التي قضتها مؤرقة وهي تفكر في الطفل الذي تحمله بداخلها، والذي لم يزل مجهول الاسم.

ولد الطفل قبل الموعد المقرر بأسبوعين لينام في ذلك السرير. كانت الولادة المنزلية فكرة لودجر. أخفت الأمر عن يوديت، التي كانت تقضي فترة تدريب كطبيبة في هانوفر. فقد كانت باولا تعرف رأي صديقتها. وأنها فستقول *كما في القرون الوسطى، منتهى العبط*.

كان مما هدأ مخاوفها يقينها أن الطبيب سيأتي اليها في غضون دقائق عند الحاجة. كما شجعها زملاؤها على الولادة في المنزل. كانت قصص كثيرة تحكى عن الجراثيم المقاومة للأدوية. ولم تكن المستشفى مكانًا أكثر أمانًا من سرير المنزل.

كانت راكعة أمام الفراش وهي تنظر الى أعلى، حيث توجد لمبة عارية معلقة بسلك. واستلزم الأمر جلب مزيد من اللمبات وألواح الخشب. عشرين دقيقة مرت منذ أن هاتفته. قالت وبدون أن يخالجها أمل كبير خذ *تاكسي*. ولكن كما هو متوقع ، عاد لودجر إلى المنزل بالدراجة. سمعت صوت مفتاحه وهو يدور في القفل، ووقع خطواته في الرواق وصوت الحقيبة التي ألقاها، وبعد ذلك - لا شيء. اجتاحتها آلام الوضع، وأصبح شعورها منحصرا في ظهرها والجزء السفلي من جسدها.

خلال الساعات التسع التالية كان كثيرا ما يخرج ثم يأتي من جديد. كان يركع أو يرقد بجانبها ، يمسك بيدها ويمسح العرق عن جبينها.

صرخت *ربطة شعر!* وأمرته *أغلق الموسيقى! أغلق النوافذ!* وعندما سمحت لها القابلة أخيرًا بالضغط، لم يكن لديها أي قوة للكلام.

ولكن كيف تلاشت التفاصيل بهذه بسرعة، وكيف نُسِيَت الآلام بهذه السرعة. وضعت القابلة الطفل على بطن باولا، وعندما رأت باولا أنها فتاة غاصت في الوسادة مبتسمة. قطع لودجر الحبل السري، وبعد ذلك بفترة قصيرة أخذت ليني أنتونيا كرون ترضع من ثدي باولا.

*****

بقي لودجر في المنزل لمدة ثلاثة أسابيع.

في تلك الأسابيع الثلاثة كان هو وهي وليني هم كل العالم. حتى أثناء الإرضاع كان يرقد بجوارهما. أما المشاوير الضرورية في الخارج فقد كان يقضيها بأسرع وقت ممكن. لقد كانوا مثل مجال الطاقة الذي يفقد قوته اذا غادر أحدهم الدائرة المغلقة.

في زيارتها الأخيرة قالت القابلة إنها نادراً ما رافقت عائلة سارت فيها الأمور بلا أى تعقيدات على هذا النحو.

في آخر يوم قضوه سويا استيقظوا عند الفجر. كانت باولا ترغب في البقاء مستلقية في الفراش. فقد كانت ترضع ليني كل ساعتين أثناء الليل. كان الإرهاق الذي تملكها كبيرًا لدرجة أن الطريق إلى المرحاض بدا لها طويلا جدا.

كانت الحديقة خالية من البشر. وكان ضباب الصباح الباكر يخيم على المروج. كان الجو خريفيا باردا. وعندما وصلوا إلى شجرة البلوط، حيث كانا يلتقيان دائمًا في البداية، وضع لودجر عنه حقيبة الظهر، وأخرج المعول والمجراف، وبدأ بحفر حفرة. عندما اصطدم المعول بأحد الجذور ارتد بسرعة الى الخلف وكاد أن يصيبه في رأسه. بحث لودجر عن موضع آخر للحفر.

بدأت ليني في البكاء. كانت ترقد في عربة الأطفال وهي ملفوفة بأغطية كثيرة. كان ذراعاها يتحركان بسرعة وقد مزق صوت بكائها السكون. أخذت باولا تحرك العربة للأمام ثم للخلف. مرقت إحدى الدراجات بجوارهم. سرعان ما ستمتلئ الطرق براكبي الدراجات وبممارسي رياضة الركض وبأصحاب الكلاب. ابتعدت

ببطء عدة أمتار عن لودجر. تحركت كما لو أنهما لا ينتميان إلى بعضهما، كما لو أنها هي أيضًا أحد المارة.

بعد حوالي عشر دقائق كان لودجر قد حفر حفرة يبلغ عمقها ثلاثين سنتيمترا. مرة أخرى وضع يده في حقيبة الظهر. من كيس بلاستيكي أخرج المشيمة المذابة، وأمسكها لفترة من الوقت، ثم وضعها في الحفرة. ثم مد ذراعه في اتجاه باولا.

كانت يده رطبة، وأحست باولا بمذاق حلو في فمها.

عندما أهيل التراب على الحفرة، كان ليني لا تزال تصرخ. استدارت باولا ودفعت العربة دفعة قوية عبر المرج إلى الطريق. مرة واحدة فقط نظرت إلى الوراء. كان كلب ضخم يجري بتصميم إلى الموضع الذي برزت فيه طبقة الأرض الجديدة عن العشب الأخضر.

لكن قبل أن يصل إلى قبر المشيمة، تحولت بنظرها الى الأمام.

*****

صار كل شيء مختلفا مع وجودها بمفردها مع الطفلة.

كان إيقاع حياتها يتبع احتياجات الرضيعة للشرب والنوم. كان جسدها غريبًا عليها. فثدييها أصبحا ملكا لليني، وأطرافها أصبحت ثقيلة، وصار شعرها باهتًا، أما بطنها فلم تعد الى سابق شكلها إلا ببطء.

عندما كان لودجر يعود إلى المنزل لم يكن يرى سوى ابنته. فاذا وجدها بين ذراعي باولا، أمسكها وحملها عنها دون سؤال. ثم يقول *كان بابا في موقع البناء* أو *حصل بابا على عمل جديد*.

ثم كان يشرح لليني سبب تعرض البيوت منخفضة الطاقة للعفن، وما هي ميزة ألواح البناء الطينية، وكيف أراد إقناع العميل باستعمال تقنية تنظيم درجات الحرارة، وما هي أنواع العشب والأعشاب المناسبة لتخضير الأسطح باستعمال الردم.

في المساء كان يقضي وقت فراغه في الأعمال اليدوية في الشقة. وكان يكسب كل ما يلمسه جمالا. كالرف المضيء في غرفة الخزين الذي صممه بنفسه، ورفوف الملابس التي صممها في الرواق والمصابيح الفخمة - كان كل شيء غير مكتمل بصورة مثالية.

عندما ينتهي من إتمام شئ ما كان يناديها. فتأتي وتمتدحه، ويده تبحث عن يدها.

وأخيرا وهما في الفراش، وليني ترقد بينهما، وهو ينظر منجذبا إليها، كانت باولا تشعر بعدم الارتياح. كان يخص الطفلة فقط بما في عينيه من حنان. وكان كل ما يصدر عنها من أصوات صغيرة يثير سعادته.

كانت تخجل مما تشعر به؛ لكن عواطفه نفرتها منه.

*****

وكلما ما استطاعت ذهبت لتقابل يوديت التي عادت إلى لايبزيج وبدأت تدريبها كطبيبة متخصصة.

كانت باولا تحب تلك الساعات التي تقضيها مع يوديت. وكانت معها سريعة البديهة وساخرة وواثقة من نفسها. ولكن كلما قضت وقتًا أطول معها صار التكيف على ما سيعقبه أكثر صعوبة، وأصبح من الصعب إخفاء الحقيقة عن صديقتها.

لم تحك عن تلك الليالي التي كانت تستيقظ فيها لأن ضربات قلبها كانت متسارعة. ولا عن تلك اللحظات التي بدا لها فيها كل شيء غير سليم، كخطأ لا يمكن إصلاحه. ولا أن لودجر لم ينم معها لعدة أشهر. قبل الولادة كان السبب الطفلة الساكنة في البطن، وبعد الولادة كان السبب الطفلة الراقدة في السرير. اقتصر الأمر على قبلة عابرة في الصباح وعناق قصير في المساء. ولا شئ بينهما.

وفي تلك الأسابيع، كان لودجر يتحدث في كثير من الأحيان عن مدى ما يشعر به من سعادة. وبدا لباولا أنها تدفع ثمن هذه السعادة. كما لو أنه كان يتغذى منها. وكلما زادت طاقته، زاد شعورها بالضعف. وكلما ازاد هوسه برسم الخطط، فقدت رغبتها في كل شئ.

كان ذاك هو الوقت الذي أطلق فيه لحيته، وتوقف فيه عن أكل اللحوم وقتل الحشرات. وركَّب فيه مرشح مياه، واشترى مطحنة حبوب. وبدأ بالتبرع بجزء كبير من راتبه لمنظمات رعاية الحيوان وجمعيات حقوق الإنسان، ونظَّم نقل حسابهم المصرفي إلى بنك ذي مبادئ أخلاقية مقبولة. وكان التبرير الذي ساقه لتصرفاته بسيطًا بالقدر الذي كان فيه صحيحًا: لأنه لا يمكن أن يكون فعل الشيء الصحيح خطأ.

وفي أمسيات كثيرة، كان يفكر بصوت عالٍ في الطريقة التي ينبغي أن يعيشوا بها. وكيف يمكن أن يحجموا الآثار التي يخلفونها وراءهم. وكانت باولا تجلس معه على الطاولة. كمستمع صامت يهز رأسه من وقت لآخر.

في الوقت نفسه نمت معاناته مع العالم ومع الناس. كان يذهب الى المقاهي مصطحبا سدادات الأذن. كان لا يتحمل أيه حكايات عن حياة الآخرين أو يضطر الى مشاركتهم جزءا منها. كانت باولا تدرك اشمئزازه من ذلك من خلال تعبيرات وجهه المتوترة.

كانت في الأساس تشاركه وجهات نظره. فمنذ البداية أثارت استقامة لودجر الأخلاقية واستعداده للاستغناء عن الأشياء إعجابها. وعلى عكس الكثيرين، كان يدافع عن معتقداته، ويتقبل ما يعود عليه جرَّاء ذلك من ضرر.

وكانت أيضا تتفهم حساسيته. و أرادت مثله تمامًا أن تنشأ ليني في عالم أفضل. ألم يكن هذا الانسجام هو الحب الذي تحدث عنه لودجر؟

لكن لا شيء من هذا كان له علاقة بها *شخصيا*. بها هي - باولا.

*** * ***

باولا **همس وهو يبعد شعرها عن وجهها المغطي بالدموع.**

فينتسل يفهم. يبدو أنه يفهم كل شيء. إنه لا يحتقرها، إنه لا يصدر أحكاما عليها، حتى أنه لا يقَطِّب جبينه ولو مرة واحدة.

قبل أن تنام معه للمرة الأولى، ذهبت إلى الطبيب. كانت متأكدة من أنها مريضة. ففي غضون عام واحد نامت باولا مع خمسة عشر رجلاً. ووفقًا للمعلومات الواردة على بوابة الخيانة الزوجية الالكترونية كانوا متزوجين. عرفت باولا أسماءهم الأولى وأعمارهم، ولا شئ سوى ذلك. وعندما كانوا يدَّعون أنهم يتمتعون بصحة جيدة، كانت تصدقهم.

ولم يكن الرجال أيضا يريدون أن يعرفوا عنها شيئًا.

عندما ظهرت نتائج الفحوصات، كانت تعرف فينتسل بالفعل منذ ثمانية أسابيع. كانا قد استمعا إلى سمفونية لبرامز وكونشيرتو بيانو لرخمانينوف. كانا في المسرح، تمشيا طويلا، وعلى أحد المقاعد في الحديقة تبادلا القبلات. فيما سبق

كانت تبدأ العلاقة وتستغرق فيها وتنهيها في ثمانية أسابيع. أما فينتسل فلم يكن حتى قد رآها عارية.

في البداية كانت خائفة من أنه سيهرب بعيدا عندما يدرك مدى ما بها من أضرار نفسية. ولكن عندما ظهر مرارًا وتكرارًا في الاوقات المحددة في الأماكن التي تواعدا عليها، أخذ خوفها يتلاشى ببطء.

عندما وقفت أمام منصة الاستقبال بالعيادة، حاولت باولا عبثًا استشراف النتيجة من وجه مساعدة الطبيب. ألقت المرأة نظرة على ورقة، كان وجهها خال من التعبير. رن جرس الهاتف، ردت عليه، أعطت موعدًا ، ثم نظرت إلى الورقة مرةً أخرى. *حسناً فراو كرون، كل شئ على ما يرام*، هكذا قالت دون أن تنظر لأعلى.

ركبت باولا الدراجة. كانت يلفح وجهها ريح دافئة. في السوق اشترت سمكا وطماطم وفلفل وخيار وفجل وخس وبصل وثوم وأعشاب طازجة وليمون وزعفران. وتوقفت بدراجتها ذات الحقائب الممتلئة عند تاجر النبيذ، وتذوقت شيئا من البينو جري والبينو بلان والسوفينيون بلان. شعرت بالتأثير الممتع للكحول، وغادرت المتجر وهي تحمل زجاجة من نبيذ سيلفانير.

في المنزل ارتدت مريلة المطبخ، ووضعت قصائد غنائية لشوبان، وشرعت في طهي الطعام.

أتت طيور السمامة الشائعة. كما تأتي في كل عام فجأة. وصلت من جنوب خط الاستواء، في الأسبوع الأول من شهر مايو.

كانت تطير في سرعة خاطفة للأنفاس عبر الشوارع، بينما تتعالى أصواتها الحادة في ساعات المساء، ويمكن سماعها عبر النوافذ حتى لو كانت مغلقة.

ركضت باولا إلى غرفة المعيشة، وجلست على حافة النافذة. لبضع دقائق. انعكست صورة شمس الغروب على أحد النوافذ في الجهة المقابلة. بدت ظلالها على الستارة التي تشطر الغرفة الى قسمين كصورة جانبية على ورق مقوّى، وظلال طيور السمامة تمرق أعلاها.

ناما معا في تلك الليلة، ولم يفعل فينتسل شيئًا لم تكن باولا تعرفه بالفعل. ولكن كان هناك شيء مختلف في هذا الحب. كان الأمر أشبه بالموسيقى المعقدة - بعد العزف الأوليّ ظهرت أنغام أخرى أكثر رهافة، وكان جمالها يتبدى في أقل النغمات

وحتى في لحظات توقفها. وعندما فتحت باولا عينيها في صباح اليوم التالي، كان فينتسل لا يزال بجوارها.

*** * ***

عندما توقف لودجر عن مناداتها باسمها، بدأت في فعل أشياء كان الغرض الوحيد منها هو التصرف بشكل مختلف عما كان يعتقد أنه صحيح.

وفي صباح يوم أحد تحممت باولا لمدة خمسة عشر دقيقة دفعة واحدة.

في مساء يوم أربعاء ألقت تفاحة عطنة في سلة القمامة أمام عينيه.

كما اشترت ملابس وأحذية، رغم أن لديها ملابس وأحذية بكميات كبيرة. غير أنها لم تسمعه يهتف باسمها الا عندما كانت تقلي شريحة من لحم البقر في مساء إحدى الليالي.

كان لودجر آنذاك قد أصبح قبل بضعة أسابيع فقط نباتيًا. وكان هذا القرار هو مثار الحديث كل مساء. كان يذكر أرقاما عن الاستهلاك العالمي من اللحوم، وعن التربية التجارية للماشية، وعن استهلاك العلف والمياه. كانت قدرته على استدعاء الحقائق مثيرة للاعجاب. وكانت النتيجة الحتمية لعلمه بكل هذه الحقائق هو الاستغناء عن اللحوم.

عندما دخل من الباب وهتف *مرحبا عزيزتي!* أخذت باولا شريحة اللحم المقلية من المقلاة ووضعتها على طبقها. نثرت عليها بعض الفلفل والملح، ووضعت أوراقا من الخس عليها. قطَّعت اللحم بسكين حاد. خرجت عصارة من قطعة اللحم، فقد كانت نيئة من الداخل. شق خيط رفيع من الدم طريقه عبر أوراق الخس الخضراء.

زادت دقات قلب باولا. لم تعد تعاني من أي جوع. وفكرت للحظة أن تلقي بقطعة اللحم في سلة القمامة، لكن لودجر كان يقف بجانبها بالفعل.

سأل: *ماذا تفعلين يا عزيزتي؟*

وعندما اكتفت بالنظر إليه في صمت قال: *باولا !*

ولم يقل شيئا عدا ذلك.

بعد شراء السيارة، كف عن الحديث معها لعدة أسابيع.

كانت سيارة كبيرة بلا ضرورة - فولفو سوداء قديمة، طولها حوالي خمسة أمتار.

أخذ يركض كالجريح، وقد انحنى ظهره، وبدا عليه الانكسار.

لم تعتذر باولا. عذبها صمته، لكن عندما عادا أخيرًا للحديث مع بعضهما، دافعت عن أفعالها بالقول إنه لم يكن ليعطِها موافقته بأي حال من الأحوال. وبينما كانت تمسح أرضية الحمام، أعلنت أنه*زوجها* فقط وليس *سيدها*. رد لودجر بأنها ترغب أحيانًا في أن يتحكم بها شخص ما، وعندما فهمت ما يعنيه، ضحكت. عبرت أيضا وجهه ابتسامة، ولم تسمح باولا بتفويت هذه اللحظة، فقبلته. ثم انحنت على الغسالة، وكان لودجر غاضبًا بما يكفي لعدم التراجع.

استمر السلام لفترة قصيرة.

في فترة ما بعد ظهيرة يوم الأحد رن الجرس. اندفعت يوديت من الباب، وذهبت مباشرة إلى المطبخ، ووضعت دون كلمة واحدة صورا لفرس ذات لون بني داكن وغرة بيضاء من نوع كوارتر الامريكي على الطاولة. كانت قد نجحت قبل أيام قليلة في اجتياز امتحان التخصص في الغدد الصماء. كانت الفرس هديتها لنفسها.

حدَّق لودجر بالصور حاملا ليني على ذراعه، بينما أخذت يوديت تتحدث بحماس عن مستوى فرسها وانقيادها لها وليونتها وقدرتها الكبيرة على تعلم القفز. عندما انتهت يوديت من حديثها، قال لودجر، وهو لا يخفي شعوره بالاشمئزاز، إنه لا يجوز لإنسان ذي وعي أخلاقي أن يركب أو يروض الحيوانات، لأن ذلك يسبب معاناة غير ضرورية.

وضعت يوديت يديها على خاصرتيها، ونظرت إلى ليني ورفعت رأسها بتحد. وأجابت: *إذا أردت منع المعاناة غير الضرورية ، فلا تأت بأطفال الى هذا العالم. لأن هذا الطفل سيعاني، مثله مثل كل شخص فيه.*

ثم جمعت صورها، ووضعتها في حقيبتها، ونظرت إلى باولا. في يوم آخر ربما كانت باولا انحازت إلى صديقتها. في يوم آخر ربما كانت قالت للودجر إنه لا ينبغي له أن يفرض رأيه على كل العالم، ولا يدين أي شخص يعيش بطريقة مختلفة عنه.

لم تعد يوديت تأتي لزيارتهم.

لم تعد تتصل، وكانت ترد على رسائل باولا اقتضاب وصد. أما الدعوة التي أرسلتها الي باولا لحضور الافتتاح الجديد لعيادتها الطبية، التي أخذتها عن صديق لأمها،

فكانت كسائر الدعوات التي أُرْسِلَت لجميع المدعوين. دون أيه كلمة شخصية، ودون أيه علامة على صداقة العمر التي جمعتهما فيما مضى من حياتهما.

حمّلت باولا لودجر مسئولية ما حدث.

فكرت في الانفصال.

غير أنها لم تنفصل.

في الفترة التي أعقبت تلك الواقعة، انطويا على نفسيهما. لم يعودا يلبيان ما يوجه لهما من دعوات، وقلّ زوارهما. أصبحا ينامان أكثر مع بعضهما البعض. فعلى النطاق الضيق للحب كانت الأمور بينهما على ما يرام.

*

في بداية الحمل الثاني، قيلت اعتذارات وبُذِلَت وعود. واعترفت باولا بانها كانت تتصرف في بعض الأحيان بدافع الاحتجاج، واعترف لودجر .....